# منهج المدرسة
# الإشارية في التدبر

**د. نادر السنوسي العمراني**

أستاذ الحديث وعلومه

بقسم الدراسات الإسلامية

كلية الآداب- جامعة طرابلس

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين؛ نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد؛

فقد أمر الله سبحانه عبادَه بتدبُّر كتابه الكريم، فقال سبحانه: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[1]، كما نَعى سبحانه على الذين لا يتدبرون القرآن، فقال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[2]، وقال سبحانه: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾[3].

وقد تعدَّدت مناهجُ المنسوبين للعلم في تدبُّر كتاب الله سبحانه، بين غالٍ ومُفرِّط، وبين سائر على طريق هُدى وبين مفتتحِ باب ضلالة كانت سبباً في كثير من التحريف الذي تعرَّض له كتاب ربِّنا.

ومن بين هذه المناهج منهج المدرسة الإشارية، الذي أشكل حكمه على الكثيرين، فمِن مُنكِر لهذه الطريقة، مُشنِّع على أهلها، رافضٍ لكلِّ ما يَصدر عنها وعنهم. وبين مادح لها، واصفٍ لأهلها بالأولياء المحقِّقين الناظرين بنور الله، داع للتمسك بكلِّ ما يصدر عنها.

فوجب النظر في هذه الطريقة نظرةَ إنصاف، بعيداً عن التعصب لها أو عليها، للخروج بحكم مناسب، يبيِّن ما فيها من صواب أو خطأ، مبيناً إمكانية الاستفادة منها في تدبُّر كلام الله واستخراج حكمه.

وقد جعلت هذا البحث في ثلاثة مطالب:

**المطلب الأول**: الأصل الذي قام عليه المنهج الإشاري في التدبر.

**المطلب الثاني**: تعريف التفسير الإشاري، وشروط قبوله.

**المطلب الثالث**: أمثلة تطبيقية للتدبر على المنهج الإشاري.

---

(1) ص: 29.

(2) محمد: 24.

(3) النساء: 82.

## المطلب الأول:

## الأصل الذي قام عليه المنهج الإشاري في التدبر

لقد قام أصل المنهج الإشاري في التدبُّر علَى أنَّ الله سبحانه قد اختصَّ عبادَه المتَّقين وأولياءَه الصالحين بفهْم كتابه، وإدراكِ بعض معانيه الخفية التي لا يُدركها غيرُهم، ولا يَفتَحُ بها إلاَّ علَيهم، كلُّ ذلك بسبب اتباعهم لأمره سبحانه، وانتهائهم عن نواهيه، فأورثهم ذلك صفاءً ونقاءً كُشِف لهم به عن أسرار كتاب ربِّهم، وفَقهوا معانيه وإشاراته.

ولا شك أنَّ طاعة الله سبحانه من أعظم الوسائل المعينة على العلم والفهم، فإنَّ الله يُوفِّق العبدَ التقيَ لِمَا لا يُوفَّق له غيره. وقد دلَّت على هذا المعنى آيات كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا . وَإِذًا لَآتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا. وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾[1]، فذكر سبحانه أنَّ من ثمرات الالتزام بأمره الهدايةَ إلى الصراط المستقيم. وقوله سبحانه: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾[3].

وفي المقابل، فقد يَحْجب الله سبحانه المعرفةَ عن قلب امرئ بسبب معصيته وتركه أمره، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾[4]، وقال سبحانه: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾[5]. قال ابن كثير (ت774هـ): « أي سأمنع فهم الحجج والأدلة على عظمتي وشريعتي وأحكامي قلوبَ المتكبِّرين عن طاعتي »[6].

لكن هذا لا يعني أن يُترك سبيل الأخذِ بالأسباب، وأن يُهمَل طلبُ العلم من مظانِّه، فلا يمكن الادعاء بأنَّ تقوى الله جل وعلا وحدها موصلة إلى فهم مراد الله سبحانه، بل على من أراد فهم كلام الله أن يُراعي أصول أهل العلم في التدبُّر، ويستعين على ذلك بطاعة الله

---

(1) النساء: 66-68.
(2) المائدة: 16.
(3) محمد: 17.
(4) الصف: 5.
(5) الأعراف: 146.
(6) تفسير القرآن العظيم (3/474-475).

سبحانه واتباع أمره؛ ليوفقه في فهمه ويسدِّده في تدبره.

قال ابن تيمية (ت728هـ): « والناس في هذا البابِ على ثلاثة أقسامٍ؛ طرفان ووسط. فقوم يزعمون أنَّ مجرَّد الزهد وتصفية القلب ورياضة النفس تُوجب حصولَ العلم بلا سبب آخر.

وقومٌ يقولون: لا أثرَ لذلك، بل الموجب للعلم: العلمُ بالأدلة الشرعية أو العقلية.

وأمَّا الوسَط فهو أنَّ ذلك من أعظم الأسباب معاونةً على نيل العلم، **بل هو شرطٌ في حصول كثير من العلم، وليس هو وحده كافياً**، بل لابد من أمر آخر؛ إما العلم بالدليل ـ فيما لا يُعلم إلاَّ به ـ وإمَّا التصور الصحيح لطرفي القضية في العلوم الضرورية »[1].

وهذه بعض نصوص أهل العلم في الدلالة على أهمية البعد عن المعاصي والمداومة على الطاعة في تحصيل العلم والمحافظة عليه.

قال يحيى بن يحيى سأل رجل مالكَ بن أنس (ت179هـ): « يا أبا عبد الله، هل يَصلح لهذا الحفظ شيءٌ؟ قال: إنْ كان يَصلح له شيءٌ فترك المعاصي »[2].

وقال بشر بن الحارث (ت227هـ): « إن أردت أن تُلقَّن العلمَ، فلا تعْصِ »[3].

وقال المرُّوذي: سمعت أحمد بن حنبل (ت241هـ) يقول: « عبد الوهاب الورَّاق رجل صالحٌ، مِثلُه يُوفَّق لإصابة الحق »[4].

وقال ابن القيم (ت751هـ): « وللمعاصي من الآثار القبيحة المذمومة المضرة بالقلب والبدن في الدنيا والآخرة ما لا يعلمه إلا الله، فمنها: **حرمان العلم؛ فإنَّ العلم نور يقذفه الله في القلب، والمعصية تطفئ ذلك النور**. ولَمَّا جلس الإمام الشافعي بين يدي مالك وقرأ عليه، أعجبه ما رأى من وفور فطنته وتوقُّد ذكائه وكمال فهمه، فقال: إني أرى الله قد ألقى على قلبك نوراً، فلا تطفئه بظلمة المعصية. وقال الشافعي:

شكوتُ إلى وكيعٍ سُوءَ حِفْظي ... فأرشدني إلى تَركِ المعاصي

وقَال اعلـمْ بـأنَّ العلـمَ فضـلٌ ... وفضلُ الله لا يُؤتاه عَاصي »[5].

---

(1) مجموع الفتاوى (13/246-247).
(2) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (رقم1783).
(3) المصدر نفسه (رقم1784).
(4) سير أعلام النبلاء (23/311).
(5) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (ص34-35).

## المطلب الثاني:

## تعريف التفسير الإشاري وشروط قبوله

لقد عُرِّف التفسير الإشاري بعدَّة تعريفات متقاربة، فقد عرَّفه الشيخ عبد العظيم محمد الزرقاني (ت1367هـ) بقوله: « هو تأويل القرآن بغير ظاهره؛ لإشارة خفية تظهر لأرباب السلوك والتصوف، ويمكن الجمع بينها وبين الظاهر والمراد »[1].

ووافقه الشيخ محمد حسين الذهبي فقال: « هو تأويل آيات القرآن الكريم على خلاف ما يظهر منها، بمقتضى إشارات خفية تظهر لأرباب السلوك، ويمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة »[2].

وعرَّفه الصابوني بقوله: « هو تأويل القرآن على خلاف ظاهره، لإشارات خفية تظهر لبعض أولي العلم، أو تظهر للعارفين بالله من أرباب السلوك والمجاهدة للنفس ممَّن نوَّر الله بصائرهم فأدركوا أسرار القرآن العظيم، أو انقدحت في أذهانهم بعض المعاني الدقيقة بواسطة الإلهام الإلهي أو الفتح الرباني، مع إمكان الجمع بينهما وبين الظاهر المراد من الآيات الكريمة»[3].

والملاحظ في هذه التعاريف أنها اتفقت على أنَّ التفسير الإشاري هو (تأويل للقرآن بغير ظاهره) أي بغير ما تقتضيه ألفاظ الآيات بحسب اللغة العربية التي هي لسان القرآن كما قال الله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ. عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ. بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾[4].

(لإشارات خفية) هذا هو الدليل الموجب للعدول عن ظاهر اللفظ. ووُصِفت بالخفاء لأنَّها لا تظهر لكل أحد، بل (تظهر لأرباب السلوك والتصوف) أي أنَّها يختص بإدراكها الحريصون على الالتزام بأمر الله وطاعته، وذكْر التصوف ليس على سبيل الحصر في أهله، وإنَّما هو لاشتهارهم به، ولهذا فإنَّ تعبير الصابوني أولى حيث قال: (تظهر لبعض أولي العلم، أو تظهر للعارفين بالله من أرباب السلوك والمجاهدة للنفس ممَّن نوَّر الله بصائرهم).

(ويمكن الجمع بينها وبين الظاهر والمراد) وهذا هو الفارق بين التفسير الإشاري وتفسير الباطنية القائم على إنكار المعاني الظاهرة للقرآن، وإدعاء معاني أخرى مخالفة له.

---

(1) مناهل العرفان (67/2).
(2) التفسير والمفسرون (245/2).
(3) التبيان في علوم القرآن (ص191).
(4) الشعراء: 193-195.

ولَمَّا كان الأصل في فهم كتاب الله التزامَ ظواهر ألفاظه، وعدمَ تعديها إلى غيرِها إلاَّ لدليلٍ يجب المصير إليه[1]، وجَب النظر في حقيقة هذه الإشارات التي أوجبت العدول عن الظاهر إلى غيره، هل هي معتبرة شرعاً أم لا؟

وللجواب عن هذا السؤال أقول: المراد بالإشارات المذكورة في هذه التعريفات: حالات وجدانية يمر بها المفسر أو المتدبِّر حالَ قراءته للقرآن، فتذهبُ نفسُه إلى معنى يذكرُه عند قراءة الآية، ليس هو المعنى الذي دلَّت عليه ألفاظ الآية بمقتضى معناها اللغوي.

قال الزركشي (ت794هـ): « فأمَّا كلام الصوفية في تفسير القرآن، **فقيل: ليس تفسيراً، وإنَّما هي معانٍ ومواجيد يجدونها عند التلاوة،** كقول بعضهم في ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾[2]: إنَّ المراد النفسُ، فأُمِرنا بقتال من يلينا؛ لأنها أقرب شيء إلينا، وأقرب شيء إلى الإنسان نفسه »[3].

وقد قسَّم الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور هذه المواجيد والإشارات ثلاثة أقسام فقال: « وعندي أنَّ هذه الإشارات لا تعدو واحداً من ثلاثة أنحاء:

**الأول:** ما كان يَجري فيه معنى الآية مَجرى التمثيل لحال شبيه بذلك المعنى، كما يقولون مثلاً: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾[4] إنه إشارة للقلوب؛ لأنَّها مواضع الخضوع لله تعالى؛ إذ بها يُعرف، فتسجد له القلوب بفنَاء النفوس. ومنعُها من ذكره هو الحيلولة بَيْنها وبين المعارف اللدنية، ﴿وَسَعَى فِي خَرَابِهَا﴾[5] بتكديرها بالتعصبات وغلبة الهوى، فهذا يُشبه ضربَ المثل لحال من لا يُزَكِّي نفسه بالمعرفة، ويمنع قلبَه أن تدخله صفاتُ الكمال الناشئة عنها، بحال مانع المساجد أن يُذكر فيها اسم الله، وذِكْرُ الآية عند تلك الحالة كالنطق بلفظ المثل ...

**الثاني:** ما كان من نحو التفاؤل، فقد يكون للكلمة معنى يَسبق من صورتها إلى السمع، هو غير معناها المراد، وذلك من باب انصراف ذهن السامع إلى ما هو المهم عنده، والذي يجول في خاطره، وهذا كمن قال في قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ﴾[6] (من ذلَّ) ذي

---

(1) قال ابن جرير في تفسيره (41/7): « فمن ادعى في التنزيل ما ليس في ظاهره، كُلِّف البرهان على دعواه من الوجه الذي يجب التسليم له ».

(2) التوبة: من الآية 123.

(3) البرهان في علوم القرآن (187/2).

(4) البقرة: من الآية 114.

(5) البقرة: من الآية 114.

(6) البقرة: من الآية 255.

إشارة للنفس يصير من المقربين الشفعاء، فهذا يأخذ صدى موقع الكلام في السمع، ويتأوله على ما شُغِل به قلبه. ورأيت الشيخ محي الدين يُسمِّي هذا النوع سماعاً، ولقد أبدع.

**الثالث:** عِبَرٌ ومواعظُ، وشأنُ أهل النفوس اليقظى أن ينتفعوا من كل شيء، ويأخذوا الحكمةَ حيث وجدوها، فما ظنُّك بهم إذا قرأوا القرآن وتدبَّروه فاتَّعظوا بمواعظه، فإذا أخذوا من قوله تعالى: ﴿فَعَصَى فِرْعَونُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذاً وَبِيلاً﴾[1] اقتبسوا أنَّ القلبَ الذي لم يَمتثلْ رسولَ المعارف العليا تكون عاقبته وبالاً. ومن حكاياتهم في غير باب التفسير: أنَّ بعضهم مرَّ برجل يقول لآخر: هذا العودُ لا ثمرةَ فيه، فلم يعُد صالحاً إلاَّ للنار. فجعل يبكي ويقول: إذن فالقلب غير المثمر لا يصلح إلا للنار»[2].

وهناك قسمٌ رابعٌ شبيهٌ بالقسم الثاني: وهو ما أُخِذ من شَكْل حروف بعض الكلمات الواردة في القرآن لا من أصواتها، فاستلهموا منها معاني ودلالات. كقولهم: (بِسْمِ اللهِ): ابْتُدئ الكلام بحرف الباء، ونُقِطَتْ من تحت إشارة إلى توحيد الله جل وعلا.

والمتأمل في هذه الإشارات يجد أنَّها لا تخرج عن إحدى حالتين:

**الأولى:** أن يكون المفسر أو المتدبر قد ذكرها على أنَّها المرادُ من كلام الله، وأنَّ الآياتِ إنَّما سِيقتْ للدلالة على هذا المعنى. وهذا لاَ شكَ باطلٌ؛ إذ لو كان المعنى المذكور صحيحاً، لأقام الله سبحانه عليه من الأدلة من خلال اللفظ ما يرشدنا إليه، ولم يقتصر ذلك على أمزجة أهل الإشارة أو وجدانهم.

قال الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور –عقب كلامه السابق–: « فنسبة الإشارة إلى لفظ القرآن مجازية؛ لأنَّها إنَّما تشير لمن استعدت عقولهم وتدبرهم في حال من الأحوال الثلاثة، ولا ينتفع بها غير أولئك، فلمَّا كانت آياتُ القرآن قد أنارت تدبُّرَهم، وأثارتْ اعتبارهم، نسبوا تلك الإشارة للآية. **فليست تلك الإشارةُ هي حقَّ الدلالة اللفظية والاستعمالية حتى تكون من لوازم اللفظ وتوابعه** كما قدْ تبيَّن. وكلُّ إشارة خرجت عن حدِّ هذه الثلاثة الأحوال إلى ما عداها فهي تقترب إلى قول الباطنية رويداً رويداً، إلى أن تبلغ عين مقالاتهم، وقد بصرناكم بالحد الفارق بينهما، فإذا رأيتم اختلاطه فحقِّقوا مناطه، وفي أيديكم فيصل الحق فدونكم اختراطه »[3].

---

(1) المزمل: 16.

(2) التحرير والتنوير (35/1-36).

(3) المصدر نفسه (36/1).

**الثانية:** أن يكون ذكرهم لهذه الإشارات على سبيل الاعتبار والقياس، والانتقال من معنى مقصود إلى آخر شبيه به؛ إمَّا من حيث المعنى، أو الصوت، أو الصورة.

وغالباً ما يكون السبب في هذا الانتقال هو تحريك القلوب، وشحذ الهمم؛ استجابة للحالة الوجدانية التي يمر بها المتدبر.

قال ابن تيمية (ت728هـ): « وهذان قسمان؛ أحدهما: أن يُقال: إنَّ ذلك المعنى مرادٌ باللفظ، فهذا افتراءٌ على الله، فمن قال: المراد بقوله: ﴿تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾[1] هي النفس. وبقوله: ﴿اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ﴾[2] هو القلب. ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾[3]: أبو بكر. ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾[4]: عمر. ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾[5]: عثمان. ﴿تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً﴾[6]: علي. فقد كذب على الله، إمَّا متعمداً وإما مخطئاً.

**والقسم الثاني: أن يُجعل ذلك من باب الاعتبار والقياس، لا من باب دلالة اللفظ، فهذا من نوع القياس،** فالذي تسمِّيه الفقهاء قياساً هو الذي تُسمِّيه الصوفية إشارةً، وهذا ينقسم إلى صحيح وباطل، كانقسام القياس إلى ذلك، فمَن سمِع قول الله تعالى: ﴿لاَ يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ﴾[7]، وقال: إنَّه اللوح المحفوظ أو المصحف. فقال: كَما أنَّ اللوحَ المحفوظَ الذي كُتب فيه حروفُ القرآنِ لا يمسه إلاَّ بدنٌ طاهرٌ، فمعاني القرآن لا يَذوقها إلاَّ القلوبُ الطاهرةُ وهى قلوب المتَّقين، كان هذا معنى صحيحاً، واعتباراً صحيحاً. ولهذا يُروَى هذا عن طائفة من السلف. قال تعالى: ﴿أَلَمَ . ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ﴾[8]، وقال: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾[9]، وقال: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ﴾[10] وأمثال ذلك. وكذلك من قال: (لا تدخل الملائكةُ بيتاً فيه كلب) [11] فاعتبر

---

(1) البقرة: من الآية 67.
(2) طه: من الآية 24.
(3) الفتح: من الآية 29.
(4) الفتح: من الآية 29.
(5) الفتح: من الآية 29.
(6) الفتح: من الآية 29.
(7) الواقعة: 79.
(8) البقرة: 1-2.
(9) آل عمران: 138.
(10) المائدة: من الآية 16.
(11) أخرجه البخاري (كتاب بدء الخلق/باب إذا قال أحدكم: آمين والملائكة في السماء فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه/رقم3225)، ومسلم (كتاب اللباس والزينة/باب تحريم تصوير الحيوان وتحريم اتخاذ ما فيه صورة غير ممتهنة بالفرش ونحوه، وأن الملائكة عليهم السلام لا يدخلون بيتاً فيه صورة ولا كلب/رقم5481) من

بذلك أنَّ القلبَ لا يدخله حقائقُ الإيمان إذا كان فيه ما يُنجِّسه من الكِبر والحسد فقد أصاب. قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ﴾[2]، وأمثال ذلك ... **فكلُّ معنى يخالف الكتاب والسنة فهو باطل، وحجته داحضة، وكلُّ ما وافق الكتاب والسنة والمرادُ بالخطابِ غيرُه إذا فُسِّر به الخطاب فهو خطأ، وإن ذُكِر على سبيل الإشارةِ والاعتبارِ والقياسِ فقد يكون حقاً، وقد يكون باطلاً** »[3].

**شروط قبول التفسير الإشاري:**

من خلال الاستعراض السابق لمعنى التفسير الإشاري، يظهر بأنَّه ليس كلُّه مقبولاً، بل منه ما هو مقبول، ومنه ما هو مردود. وقد وضع أهل العلم شروطاً للمقبول منه، هي:

**أولاً** / أنْ يكون المعنى المذكور صحيحاً في نفسه؛ بأن يكون له شاهدٌ شرعيٌّ يشهد له، ولا يوجد في الكتاب أو السنة ما يعارضه أو ينفيه. فكلُّ معنىً يدَّعيه صاحبُه، ويحاول أنْ يَحملَ كلامَ الله عليه مع معارضته له معارضة صريحة لاشك في بطلانه[4].

قال ابن تيمية (ت728هـ): « وجماع القول في ذلك: أنَّ هذا الباب نوعان:

**أحدهما**: أن يكون المعنى المذكور باطلاً؛ لكونه مخالفًا لما عُلِمَ، فهذا هو في نفسه باطلٌ، فلا يكون الدليل عليه إلاَّ باطلاً؛ لأنَّ الباطلَ لا يكون عليه دليل يقتضى أنَّه حقٌّ.

**والثاني**: ما كان في نفسِه حقّاً، لكن يستدلون عليه من القرآن والحديث بألفاظ لم يُرَدْ بها ذلك، فهذا الذي يسمونه (إشارات)، وحقائق التفسير لأبي عبد الرحمن فيه من هذا الباب شيءٌ كثير.

وأمَّا النوع الأوَّل، فيوجد كثيراً في كلام القرامطة والفلاسفة المخالفين للمسلمين في أصول دينهم؛ فإنَّ من عَلِم أنَّ السابقين الأولين قد رضي اللّه عنهم ورضوا عنه، عَلِم أنَّ كلَّ ما يذكرونه على خلاف ذلك فهو باطل[5]. ومن أقرَّ بوجوب الصلوات الخمس على كل أحد

---

حديث أبي طلحة ولفظه: (لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة).

(1) المائدة: من الآية 41.

(2) الأعراف: من الآية 146.

(3) مجموع الفتاوى (243241/13). ونحو في الموافقات للشاطبي (232/4).

(4) ينظر: الموافقات (232/4).

(5) من ذلك تفسير الباطنية قوله تعالى: ﴿تبت يد أبي لهب وتب﴾[المسد:1] بأنهما أبو بكر وعمر، وقوله: ﴿فقاتلوا أئمة الكفر﴾[التوبة:12] أنهم طلحة والزبير، ﴿والشجرة الملعونة في القرآن﴾[الإسراء:60] بأنها بنو أمية، وقوله:

مادام عقله حاضراً، عَلِم أنَّ من تأوَّل نصّاً على سقوط ذلك عن بعضهم فقد افترى، ومن علِم أنَّ الخمر والفواحش محرمةٌ على كل أحد –ما دام عقله حاضراً– عَلِم أنَّ من تأَوَّل نصّاً يقتضى تحليل ذلك لبعض الناس أنه مُفْتَرٍ »[1].

**ثانياً** / أنْ يكون المعنى المذكور موافقاً لنظم القرآن على ما تقتضيه اللغة، وفي لفظ الآية إشعارٌ به؛ فقد يكون المعنى صحيحاً لدلالة الكتاب والسنة عليه، ولكن هذه الآية بخصوصها لا علاقة لها به.

فالواجب أن يكون فكْرُ المتدبر ونظرُه تبعاً للقرآن، وأن يكون أصل انفجار المعنى الذي يذكره من الآية لا العكس[2].

قال أبو حيان الأندلسي (ت754هـ) –وهو يتكلم عن منهجه في تفسيره–: « وربَّما ألْمَمت بشيء من كلام الصوفية **ممَّا فيه بعضُ مناسبة لمدلول اللفظ، وتجنَّبتُ كثيراً من أقاويلهم ومعانيهم التي يحمِّلونها الألفاظَ**، وتركت أقوال الملحدين الباطنية المخرِجين الألفاظ القريبة عن مدلولاتها في اللغة إلى هذيان افتروه على الله تعالى، وعلى علي كرم الله وجهه وعلى ذريته، ويسمونه علم التأويل. وقد وقفت على تفسير لبعض رؤوسهم وهو تفسير عجيب، يذكر فيه أقاويل السلف مزدرياً عليهم وذاكراً أنه ما جهل مقالاتهم، ثم يفسر هو الآية على شيء لا يكاد يخطر في ذهن عاقل، ويزعم أنه ذلك هو المراد من هذه الآية، وهذه الطائفة لا يلتفت إليها »[3].

**ثالثاً** / ألاَّ يُدَّعى أنَّه المعنى المراد من الآية، دون ظاهرها. وهذا هو الفرق بين تفسير الصوفية المسمَّى بالتفسير الإشاري، وتفسير الباطنية الملاحدة؛ فإنهم يقولون: إنَّ الظاهر غير مراد أصلاً، ويحمِلون الآية على المعنى الباطن الذي يدَّعونه، وقصدُهم بذلك نفي الشريعة.

قال ابن الصلاح (ت643هـ): « وجدْت عن الإمام أبي الحسن الواحدي أنه قال: صنَّف أبو عبد الرحمن السلمي (حقائق التفسير)، فإنْ كان قد اعتقد أنَّ ذلك تفسير فقد كفر. وأنا أقول: الظن بمن يوثَقُ به منهم، أنه إذا قال شيئاً من أمثال ذلك، **أنه لم يذكره تفسيراً ولا ذهب به مذهب الشرح للكلمة المذكورة في القرآن العظيم**، فإنَّه لو كان كذلك كانوا قد سلكوا مسالك الباطنية، وإنما ذلك ذكر منهم لنظير ما ورد به القرآن، فإنَّ

---

﴿إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة﴾[البقرة:67] أنَّها عائشة. ينظر: مجموع الفتاوى (13/237-238).

(1) مجموع الفتاوى (13/240-241).

(2) ينظر: مجموع الفتاوى (13/241)، والموافقات (4/253-254).

(3) البحر المحيط (1/13).

النظير يُذكر بالنظير »[1].

وقال التفتازاني: « سُمِّيت الملاحدة باطنيةً لادعائهم أنَّ النصوص ليست على ظاهرها، بل لها معانٍ لا يَعرفها إلاَّ المعلِّم، وقَصْدُهم بذلك نفي الشريعة بالكلية »[2].

**رابعاً** / ألاَّ يكون وراء ذكر هذا المعنى تشويشاً على المفسَّرِ له؛ فإنَّ كثيراً ممَّا ذُكِر من تفسير الآيات إشارياً قد فُهم على أنَّه المراد باللفظ، وسبَّب إشكالاً للسامع؛ إمَّا بظنِّه صحَّة هذا التفسير واعتمادِه له على أنَّه المعنى المقصود من الآية. أو بمعرفته ببطلانه وظنِّه أنَّ المفسر قد ذكَره على أنه المراد فيسئ الظنَّ به. لذا تمنَّى ابن الصلاح أن لو لم يَذكر المفسرون هذه المعاني، ولم يُشوِّشوا بها، واعتَبر ذلك تساهلاً ممَّن فعله، فقال -عقب كلامه السابق-: « فيا ليتهم لم يتساهلوا بمثل ذلك؛ لما فيه من الإيهام والالتباس والله أعلم »[3].

وقد ذكر ابن القيم (ت751هـ) رحمه الله شيئاً من هذه الشروط فقال: « وتفسير الناس يدور على ثلاثة أصول: تفسير على اللفظ، وهو الذي ينحو إليه المتأخرون. وتفسير على المعنى، وهو الذي يذكره السلف. وتفسير على الإشارة والقياس، وهو الذي ينحو إليه كثير من الصوفية وغيرهم. وهذا لا بأس به بأربعة شرائط: أن لا يناقض معنى الآية. وأن يكون معنى صحيحاً في نفسه. وأن يكون في اللفظ إشعار به. وأن يكون بينه وبين معنى الآية ارتباط وتلازم. فإذا اجتمعت هذه الأمور الأربعة؛ كان استنباطاً حسناً »[4].

ومعنى كونه مقبولاً عدم رفضه، لا وجوب الأخذ به، أمَّا عدم رفضه؛ فلعدم وجود ما يعارضه أو يقتضي بطلانه، مع احتمال لفظ الآية له في الجملة. وأمَّا عدم وجوب الأخذ به؛ فلكونه من قبيل الوجدانيات التي لا تستند على برهان، وإنما هو معنى يجده المتدبر في نفسه لرابط -قياس أو إلهام، أو حالة نفسية- يقع بينه وبين الآية، قد يخالفه فيه غيره أو لا يستطيع إقامة الدليل عليه[5].

---

(1) فتاوى ابن الصلاح (ص196-197).
(2) شرح العقائد النسفية (ص142).
(3) فتاوى ابن الصلاح (ص197).
(4) التبيان في أقسام القرآن (ص49).
(5) ينظر: التفسير والمفسرون (263/2)، ومناهل العرفان (70/2).

## المطلب الثالث

## أمثلة تطبيقية للتدبر على المنهج الإشاري

بعد أن تَمَّ بيان شروط قبول التفسير الإشاري، نعرض فيما يلي أمثلة تطبيقية، منها ما توفرت فيه تلك الشروط فاستحقَّ القبولَ، ومنها ما اختلَّ فيه بعضُها فاستحق الرد.

**أولاً** / روى البخاري[1] عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان عمر ﷺ يدخلني مع أشياخ بدر، فكأنَّ بعضَهم وجَد في نفسه، فقال: لمَ تُدخل هذا معنا، ولنا أبناءٌ مثله؟ فقال عمر ﷺ: إنَّه مِن حيث علمتم. فدعاه ذات يوم، فأدخله معهم، فما رأيت أنه دعاني يومئذ إلاَّ ليريهم، قال: ما تقولون في قول الله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ﴾[2]؟ فقال بعضهم: أُمِرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نُصرنا وفُتح علينا. وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً. فقال لي: أكذاك تقول يا ابن عباس؟ فقلت: لا. قال: فما تقول؟ قلت: هو أجَل رسول الله ﷺ أعلمه له؛ قال: فإذا جاء نصر الله والفتح -وذلك علامة أجلك- فسبِّح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً. فقال عمر ﷺ: ما أعلم منها إلا ما تقول».

فقد أثبت ابن عباس رضي الله عنهما معنى الآية الظاهرَ، وهو أمر النبي ﷺ بالتسبيح والاستغفار[3]، وفَهِم من وراء ذلك قُرْبَ أجلِ النبي ﷺ، وهو معنى يمكن استنباطه من الآية بوضوح؛ فإنَّ مهمة الرسول ﷺ بلاغ رسالة ربه، وإذا أتم الله دينه، وفتح على رسوله ﷺ، فقد انتهت مَهمته، وكان ذلك إيذاناً بقرب أجله.

وعليه فهو تفسير واستنباط مقبول، وإن لم يكن هو المراد بلفظ الآية ابتداءً. لذا قال الحافظ ابن حجر (ت852هـ): « وفيه جواز تأويل القرآن بما يُفهم من الإشارات، وإنَّما يتمكن من ذلك من رسَخت قدمه في العلم، ولهذا قال علي ﷺ: (أو فهماً يؤتيه الله رجلاً في القرآن)[4] »[5].

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه (كتاب التفسير/باب قوله ﴿فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً﴾/رقم4970)

(2) النصر: 1.

(3) أخرج البخاري في صحيحه (كتاب التفسير/باب/رقم4968) عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: سبحانك اللهمَّ ربَّنا وبحمدك اللهمَّ اغفر لي: يتأوَّلُ القرآن».

(4) أخرجه البخاري في صحيحه (كتاب الجهاد والسير/باب فكاك الأسير/رقم3047) عن أبي جحيفة رضي الله عنه قال: قلت لعلي رضي الله عنه: هل عندكم شيء من الوحي إلا ما في كتاب الله؟ قال: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، ما أعلمه إلاَّ فهما يعطيه الله رجلاً في القرآن، وما في هذه الصحيفة. قلت: وما في الصحيفة؟ قال: العقل، وفكاك الأسير، وأن لا يقتل مسلم بكافر.

(5) فتح الباري (8/608-609).

**ثانياً** / قول سهل بن عبد الله التستري (ت283هـ) في تفسير قول الله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[1] قال: « أي أضداداً، فأكبر الأضداد: النفس الأمارة بالسوء؛ المتطلعة إلى حظوظها ومناها بغير هدى من الله »[2].

وهذا المعنى الذي ذكره في نفسه معنى صحيح، ويمكن فهمه من لفظ الآية، ومع ذلك لم يذكره على أنه هو المقصود، بل ذكره من ضمن الأنداد التي يمكن أن تُلحق بالأصنام بما بينها من جامع.

قال أبو إسحاق الشاطبي (ت790هـ): « يشير إلى أنَّ النفس الأمارة داخلة تحت عموم الأنداد، حتى لو فُصِّل لكان المعنى: فلا تجعلوا لله أنداداً، لا صنماً، ولا شيطاناً، ولا النفس، ولا كذا، وهذا مشكل الظاهر جداً؛ إذ كان مساق الآية ومحصول القرائن فيها يدل على أنَّ الأنداد الأصنام أو غيرها مما كانوا يعبدون، ولم يكونوا يعبدون أنفسهم ولا يتخذونها أرباباً. ولكن له وجه جارٍ على الصحة، **وذلك أنَّه لم يقل: إنَّ هذا هو تفسير الآية، ولكن أتى بما هو ندٌّ في الاعتبار الشرعي** الذي شهد له القرآن من جهتين؛ إحداهما: **أنَّ الناظر قد يأخذ من الآية معنى من باب الاعتبار؛ فيُجريه فيما لم تنزل فيه؛ لأنه يجامعه في القصد أو يقاربه**؛ لأنَّ حقيقة الند أنَّه المضاد لنده، الجاري على مناقضته، والنفسُ الأمَّارة هذا شأنُها؛ لأنها تأمر صاحبها بمراعاة حظوظها، لاهية أو صادة عن مراعاة حقوق خالقها، وهذا هو الذي عُنِي به الند في نده؛ لأن الأصنام نصبوها لهذا المعنى بعينه. وشاهد صحة هذا الاعتبار قوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾[3]، وهم لم يعبدوهم من دون الله ولكنهم ائتمروا بأوامرهم، وانتهوا عما نهوهم عنه كيف كان، فما حرموا عليهم حرموه، وما أباحوا لهم حللوه »[4].

**ثالثاً** / قول نجم الدين داية (ت654هـ) في تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ﴾[5] قال: « والإشارة فيها: أنَّ الله تعالى ابتلى الخلق بنهر الدنيا، وماء زينتها، وما زُيِّن للخلق فيها؛ لقوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ

---

(1) البقرة: من الآية 22.
(2) تفسير القرآن العظيم للتستري (ص14).
(3) التوبة: من الآية 31.
(4) الموافقات (4/242-244).
(5) البقرة: من الآية 249.

وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ﴾[1] ليظهر المحسن من المسيء، وليميز الخبيث من الطيب، والمقبول من المردود، وكما قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [2]، ثم امتحنهم وقال تعالى: ﴿فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي﴾[3] يعني من أوليائي ومحبي وطلابي، وله اختصاص بقربي وقبولي، والتخلق بأخلاقي، ونيل الكرامة مني. كان النبي ﷺ يقول: (أنا من الله والمؤمنون مني) [4]. ﴿إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ﴾[5] يعني من قنع من متاع الدنيا على ما لابد منه من المأكول والمشروب والملبوس والمسكن وصحبة الخلق على حد الاضطرار، كما كان النبي ﷺ وأصحابه ».

وهذا المعنى الذي ذكره صحيح في نفسه؛ فإنَّ الله قد ابتلى الخلق بأنواع من الابتلاءات، كما قال سبحانه: ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾[6]، فمن نجح كانت له النجاة والنعيم، ومن كان غير ذلك فله الأخرى.

لكنَّ الشأن في ربط هذا المعنى بالآيات المذكورة؛ فإنَّ سياق الآيات في حكاية قصة حقيقية وقعت لطالوت ومن معه، وليست في الابتلاء العام، لكن لَمَّا كانت هذه القصة من الوقائع التي ابتلى الله فيها طالوت ومن معه، ونجح من نجح منهم، حسُن للمتدبِّر أن يأخذ منها العبرة، ويتذكَّر بها حاله مع فتن الدنيا، حتى تنفطم نفسه عن طلبها إلاَّ بالحلال.

ومع هذا، فقد نَقل أبو عبد الله القرطبي (ت671هـ) نحواً من كلام داية في تفسيره، ونسبه إلى بعض من يتعاطى غوامض المعاني، فقال: « وقال بعض من يتعاطى غوامض المعاني: هذه الآية مثل ضربه الله لدنيا، فشبهها الله بالنهر، والشارب منه بالمائل إليها والمستكثر منها، والتارك لشربه بالمنحرف عنها والزاهد فيها، والمغترف بيده غرفة بالآخذ منها قدر الحاجة، وأحوال الثلاثة عند الله مختلفة ».

---

(1) آل عمران: من الآية 14.

(2) الكهف: 7.

(3) البقرة: من الآية 249.

(4) قال العجلوني في كشف الخفا (233/1): « هو كذب مختلق كما قاله الحافظ ابن حجر, وقال بعض الحفاظ: لا يعرف بهذا اللفظ مرفوعاً، بل الذي ثبت في الكتاب والسنة أن المؤمنين بعضهم من بعض، أما الكتاب ففي قوله تعالى: ﴿بعضكم من بعض﴾. وأما السنة ففي قوله ﷺ في حي الأشعريين: (هم مني وأنا منهم). وقوله لعلي ﷺ: (أنت مني وأنا منك). وقوله للحسن: (هذا مني وأنا منه). وكله صحيح ».

(5) البقرة: من الآية 249.

(6) الأنبياء: من الآية 35.

ثم ردَّه بقوله: « ما أحسنَ هذا، **لولا ما فيه من التحريف في التأويل، والخروج عن الظاهر، لكن معناه صحيح من غير هذا** »[1].

قلت: لم يدَّعِ نجم الدين داية أنَّ ما ذكره تفسيرٌ للآية، ولو ذَكر ذلك لكان تحريفاً كما قال القرطبي، لكنه ذكره على سبيل الاعتبار والقياس، ولاشك أنَّ أمر التدبر أوسع من التفسير، فيكون ما ذكره مقبولاً والله أعلم.

**رابعاً** / قول أبي عبد الرحمن السلمي (ت412هـ) في تفسير قول الله تعالى: ﴿ألم﴾ في فاتحة سورة البقرة، قال: « قيل: إنَّ الألف ألفُ الوحدانية، واللام لامُ اللطف، والميم ميمُ الملك، معناه: من وجدني على الحقيقة بإسقاط العلائق والأغراض تلطَّفت له ... فأخرجته من رقِّ العبودية إلى الملك الأعلى، وهو الاتصال بمالك الملك، دون الاشتغال بشي من الملك» [2].

فهذا المعنى المذكور وإن كان صحيحاً في نفسه؛ فإنَّ الله سبحانه واحدٌ لا شريك له، لطيفٌ بعباده، مالكٌ للخلق أجمعين، غير أنَّ ربط هذا المعنى بألفاظ الآية بعيدٌ، ولا يعدو كونَه أحاسيس معينة خطرت على قلب المتكلِّم بهذا الكلام فتحدَّث بها، وإذا جاز أن يعتبر هذا تفسيراً أو استنباطاً من الآية، فإنه يجوز لغيره أن تخطر له خواطر أخرى في الآية أيضاً.

قال أبو إسحاق الشاطبي (ت790هـ): « فمن ذلك فواتح السور، نحو: ﴿ألم﴾، و﴿المص﴾, و﴿حم﴾، ونحوها، فُسِّرت بأشياء، منها ما يَظهر جَريانه على مفهوم صحيح، ومنها ما ليس كذلك، فينقلون عن ابن عباس في ﴿ألم﴾ أنَّ (ألف) الله، و(لام) جبريل، و(ميم) محمد ﷺ. وهذا إنْ صَحَّ في النقل[3]؛ **فمشكلٌ لأنَّ هذا النمط من التصرف لم يثبت في كلام العرب هكذا مطلقًا**، وإنما أتى مثله إذا دلَّ عليه الدليل اللفظي أو الحالي ... وأيضاً، **فلا دليل من خارج يدل عليه؛ إذ لو كان له دليل لاقتضت العادة نقله**؛ لأنه من المسائل التي تتوفر الدواعي على نقلها لو صح أنه مما يفسر ويقصد تفهيم معناه، ولما لم يثبت شيء من ذلك؛ دل على أنه من قبيل المتشابهات، فإن ثبت له دليل يدل عليه صير إليه » [4].

وعليه فَسدُّ باب مثل هذه الإشارات هو الواجب، حتَّى لا يُحمَّل كتابُ الله ما لا يحتمله.

---

(1) الجامع لأحكام القرآن (220/3).
(2) حقائق التفسير (ص9).
(3) قال المناوي في الفتح السماوي (126/1): « هذا لا يعرف عن ابن عباس ولا غيره من السلف ».
(4) الموافقات (235/4-237).

**خامساً** / قول سهل التستري (ت283هـ) في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾[1] قال: « أوَّل بيت وُضع للناس بيت الله عز وجل بمكة. هذا هو الظاهر. وباطنها: الرسول يؤمن به من أثْبت الله في قلبِه التوحيدَ من الناس »[2].

وهذا أيضاً معنى صحيح مقرَّرٌ في الكتاب والسنة، وأنَّ الله سبحانه قد أرسل رسوله محمداً ﷺ هدى للناس يهدي به من الظلمات إلى النور، لكن هل في الآية ما يدل على ذلك؟ أم أنَّها مجردُ أحاسيس شعر بها المتكلِّم عند تلاوتها للآية يريد أن يَحمِلَها عليها؟ وإذا كان كذلك، فلا يحسن أن تُذكر عند الآية إلاَّ إذا كان هناك ما يدل عليها من خلال اللفظ، وهذا غير موجود.

قال أبو إسحاق الشاطبي (ت790هـ): « وهذا التفسير يحتاج إلى بيان؛ فإنَّ هذا المعنى لا تَعرفه العرب، ولا فيه من جهتها وضع مجازي مناسب، ولا يلائمه مساق بحال، فكيف هذا؟ والعذر عنه أنه لم يقع فيه ما يدل على أنه تفسير للقرآن، فزال الإشكال إذاً، وبقي النظر في هذه الدعوى ولابد إن شاء الله من بيانها »[3].

**سادساً** / قول أبي محمد الشيرازي (ت666هـ) في تفسير قول الله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[4]، قال: « وصَفَ الله زمرة أهل المراقبات، ومجالس المحاضرات، والهائمين في المشاهدات، والمستغرقين في بحار الأزليات، الذين أنحلوا جسومهم بالمجاهدات، وأمرضوا نفوسهم بالرياضات، وأذابوا قلوبهم بدوام الذكر، وجولانها في الفكر، وخرجوا بعقائدهم الصافية عن الدنيا الفانية بمشاهدته الباقية؛ بأن رفع عنهم بفضله حرج الامتحان، وأبقاهم في مجالس الأنس ورياض الإيقان، وقال: ﴿ لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ﴾ يعني الذين أضعفهم حمل أوقار المحبة، ﴿ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى﴾ الذين أمرضهم مرارة الصبابات ﴿ وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ﴾ الذين يتجردون عن الأكوان بتجريد التوحيد وحقائق التغريد ﴿حَرَجٌ﴾ عتاب من جهة العبودية والمجاهدة؛ لأنهم مقتولون بسيف المحبة، مطروحون حول باب الوصلة، ضعفهم من الشوق، ومرضهم من الحب، وفقرهم من حسن

---

(1) آل عمران: 96.
(2) تفسير التستري (ص41).
(3) الموافقات (247/4).
(4) التوبة: 91.

الرضا »[1].

ولاشك أنَّ ما ذكره بعيدٌ كلَّ البعد عن معنى الآية، بل هو تحميلٌ لها ما لا تحتمله، وهو من قبيل تطويع الآية لاعتقاده؛ إذ الآية تتحدث عن أهل الأعذار في الجهاد الذين يحبون الله ورسوله ويتمنون أنْ لو تمكنوا من المشاركة، وهم على صنفين؛ صنف عذرهم لازم كالأعمى والأعرج، وصنف عذرهم طارئ عارض بسبب مرض ألمَّ بهم أو فقر.

قال ابن كثير (ت774هـ): « بيَّن تعالى الأعذار التي لا حرَج على من قعد معها عن القتال، فذكر منها ما هو لازم للشخص لا ينفك عنه، وهو الضعف في التركيب الذي لا يستطيع معه الجلاد في الجهاد، ومنه العمي والعرج ونحوهما، ولهذا بدأ به. ومنها ما هو عارض بسبب مرض عَنَّ له في بدنه، شغله عن الخروج في سبيل الله، أو بسبب فقره لا يقدر على التجهيز للحرب، فليس على هؤلاء حرجٌ إذا قعدوا ونصحوا في حال قعودهم، ولم يرجفوا بالناس ولم يثبطوهم، وهم محسنون في حالهم هذا، ولهذا قال: ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم »[2].

**سابعاً** / ما قاله صاحب جواهر المعاني في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾[3] قال: « وحملها الإنسان الكامل الذي يحفظ الله به نظام الوجود، وبه يَرحم جميع الوجود، وبه صلاح جميع الوجود، وهو حياة جميع الوجود، وبه قيام جميع الوجود، ولو زال عن الوجود طرفة عين واحدة لصار الوجود كله عدماً في أسرع من طرفة عين، وهو المعبر عنه بلسان العامة قطب الأقطاب، والغوث الجامع »[4].

وهذا لاشك تفسير باطل، يظهر أنه من الاستدلال بالقرآن على المذهب الباطل؛ بأنَّ للأولياء قدرةً على التحكم في الكون وحفظه من الدمار. وهو مخالف لما تواتر من النصوص بأنَّ الله سبحانه وحده خالقُ الكونِ، ومدبرُ أموره، والمتصرفُ في شؤونه، لا يملك أحدٌ – كائناً من كان– رد أمره، لا ملَك مقربٌ ولا نبي مرسلٌ. قال تعالى –مخاطباً نبيه–: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ

(1) عرائس البيان في حقائق القرآن (339/1).
(2) تفسير ابن كثير (198/4).
(3) الأحزاب: 72.
(4) جواهر المعاني (106/2) نقلاً عن كتاب أسباب الخطأ في التفسير (757/2–758).

سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [1]، وقال سبحانه: ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا . قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ [2].

**ثامناً** / قول بعضهم في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾[3] قال: «لأنَّهم -يعني الشيوخ- أبواب رحمة الله تعالى دنيا وأخرى، وعلى أيديهم تنزل الرحمة من الرحمن إلى كل مرحوم، وهم الوسائل، ولولاهم لهلك الكل، كما قيل: لولا الواسطة لذهب الموسوط ... وقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ هو طاعة الأكابر من السادات والمشايخ » [4].

وهو أيضاً معنى باطل؛ إذ طاعة المشايخ والكبراء ليست مطلقة، بل منوطة بموافقة كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

---

(1) يونس: 49.

(2) الجن: 21-22.

(3) المائدة: 2.

(4) رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم لعمر بن سعيد الفوتي (17/1) نقلاً عن أسباب الخطأ في التفسير (758/2).

## النتائج والتوصيات

**النتائج:**

**أولاً**/ أنَّ طاعة الله سبحانه وتقواه من أعظم الوسائل المعينة على العلم والفهم.

**ثانياً**/ أنَّ الإشارات التي يذكرها المفسرون ليست من باب التفسير، وإنَّما هي حالة وجدانية يمر بها المتدبِّر حالَ قراءته للقرآن، فتذهبُ نفسُه إلى معنى يذكرُه عند قراءة الآية، ليس هو المعنى الذي دلَّت عليه ألفاظ الآية بمقتضى معناها اللغوي.

**ثالثاً**/ أنَّ الإشارات التي يذكرها المفسرون هي من باب ذكر الشبيه بشبيهه، والمثيل بمثيله، وسبب التشابه راجع إلى تشابه في المعنى، أو في وقعها على الأسماع، أو في شكل حروفها.

**رابعاً**/ أنَّ الإشارات التي يذكرها المفسرون ليست مقبولة على الإطلاق، بل منْها ما هو مقبول، ومنها ما هو مردود، ويشترط لقبول هذه الإشارات ما يلي:

**1**) أنْ يكون المعنى المذكور صحيحاً في نفسه؛ بأن يكون له شاهدٌ شرعيٌّ يشهد له، ولا يوجد في الكتاب أو السنة ما يعارضه أو ينفيه.

**2**) أنْ يكون المعنى المذكور موافقاً لنظم القرآن على ما تقتضيه اللغة.

**3**) ألاَّ يُدَّعى أنَّه المعنى المراد من الآية، دون ظاهرها. وهذا هو الفرق بينه وبين تفسير الباطنية الملاحدة.

**4**) ألاَّ يكون وراء ذكر هذا المعنى تشويشاً على المفسَّرِ له.

**خامساً**/ معنى كون التفسير الإشاري مقبولاً عدم رفضه، لا وجوب الأخذ به.

**التوصيات:**

يوصي الباحث بتتبع نصوص المفسرين من السلف (الصحابة والتابعين وأتباعهم) التي يمكن أن تكون أصلاً للتدبر الإشاري.

# قائمة المصادر والمراجع


**القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.**

1- **أسباب الخطأ في التفسير دراسة تأصيلية،** لطاهر محمود محمد يعقوب، دار ابن الجوزي، الدمام، السعودية، ط الأولى، 1425هـ.

2- **البحر المحيط في التفسير،** لمحمد بن يوسف أبي حيان الأندلسي (ت754هـ)، مكتبة الإيمان، بريدة، السعودية، 1413هـ- 1992م.

3- **البرهان في علوم القرآن،** لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت794هـ)، خرج أحاديثه وقدم له وعلق عليه مصطفى عبد القادر عطا، دار القلم، بيروت، لبنان.

4- **التبيان في أقسام القرآن،** لشمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (ت751هـ)، دار الفكر.

5- **تفسير القرآن العظيم،** لسهل بن عبد الله التستري (ت283هـ)، دار الكتب العلمية الكبرى (البابي الحلبي)، مصر.

6- **تفسير القرآن العظيم،** لأبي الفداء إسماعيل بن عمر ابن كثير (ت774هـ)، تحقيق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2 1420هـ-1999م.

7- **التفسير والمفسرون،** لمحمد حسين الذهبي، قام بضبط نصوصه وخرج آياته وأحاديثه ووضع فهارسه أحمد الزعبي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت لبنان.

8- **جامع البيان في تفسير القرآن،** لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت310هـ)، دار المعرفة، بيروت لبنان، 1409هـ- 1989م.

9- **الجامع لأحكام القرآن،** لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (ت671هـ)، تحقيق عماد زكي البارودي وخيري سعيد، المكتبة التوفيقية، القاهرة مصر.

10- **الجامع لأخلاق الراوي،** لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (ت463هـ)، تحقيق د. محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض، 1403هـ.

11- **الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي،** لشمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (ت751هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.

12- **صحيح البخاري** محمد بن إسماعيل (ت256هـ) مع الفتح، قام بإخراجه وتصحيح تجاربه محب الدين الخطيب، دار الريان للتراث، القاهرة، ط الثانية 1409هـ.

13- **صحيح مسلم بن الحجاج** (ت261هـ) مع شرح النووي، حقق أصوله وخرج أحاديثه على الكتب الستى خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت لبنان، ط15، 1429هـ- 2008م.

14- **فتاوى ومسائل ابن الصلاح في التفسير والحديث والأصول والفقه**، لأبي عمرو ابن الصلاح (ت643هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه د. عبد المعطي أمين قلعجي، دار المعرفة، بيروت، ط الأولى، 1406هـ- 1986م.

15- **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، لأحمد بن علي بن حجر (ت852هـ)، قام بإخراجه وتصحيح تجاربه محب الدين الخطيب، دار الريان للتراث، القاهرة، ط الثانية 1409هـ.

16- **الفتح السماوي بتخريج أحاديث القاضي البيضاوي**، لزين الدين عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي المناوي (ت1031هـ)، تحقيق أحمد مجتبى، دار العاصمة، الرياض.

17- **كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس**، لإسماعيل بن محمد العجلوني (ت1162هـ)، تحقيق د. عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط الأولى، 1420هـ-2000م.

18- **مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية** أحمد بن عبد الحليم (ت728هـ) لابن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، 1416هـ.

19- **مناهل العرفان في علوم القرآن**، لمحمد عبد العظيم الزرقاني (ت1367هـ)، تحقيق أحمد بن علي، دار الحديث، القاهرة، 1422هـ- 2001م.